القصص

قصة مصرية

حب اللحم ...

للأستاذ دريني خشبه

« الحوار في الأصل باللهجة المصرية ... »

— «لا ، بل يخيل إلى أنه مجرد من كل عواطف الحنان والمحبة ، وهو بالفعل عاطل من كل ما يسمو بالانسانية عن حضيض البهيمية الخرساء التي يرسف فيها ويجعل بها حياتي معه ضرباً من الشقاء والتعاسة لا مثيل له »

— « لا أفهم ! بل الذي سمعته هو أنه يحبك حباً لا حد له ، إنه يكاد يعبدك ! »

— « يعبدني ! هه ... إنه يعبد جسمي فقط يا أختاه ! إنه وثني شرير ! »

— « يعبد جسمك فقط ؟ ماذا تقولين يا روحية ؟ »

— « آه يا أمينة ! كم يخجلني هذا الحديث الذي يدور أكثره عن اللحم والجنس ، ولا يدور شيء منه عن القلب والروح ؟ ... يا للتعاسة ! »

— « يبدو لي أنك وجدانية أكثر مما يجب يا صديقتي ! »

— « وجدانية ؟ إن النبع الوحيد الذي تصدر عنه الفضائل هو الوجدان يا أمينة ؛ إن الأنبياء والشعراء والفنانين لا يفهمون الحياة إلا عن طريق الوجدان ؛ بل الله جل وعلا حين خاطب الناس في كتبه المنزلة لم يخاطبهم إلا عن طريق بصائرهم ، والمؤمن الحق هو كل صاحب بصيرة نيرة ووجدان سليم وقلب نابض رقيق ... والحب ، الذي ينبغي أن يكون أساس كل حياة زوجية ، أليس هو أصدق صورة لا ... »

— « صار حديثنا فلسفة ! يا روحية احمدي الله على أن رزقك زوجاً لا يقصر في شيء من طلباتك ... زوجاً غنياً ذا سمعة طيبة ... له مركزه في الحياة »

— « هذا حق ... ولكن الحياة ليست قصراً منيفاً وأكلة سمينة وخزاً وديباجا ... إن هذه الأشياء أحقر ما تصبو إليه نفس عالية يا صديقتي ، ألا تفهمينني ؟ »

— « بل أفهمك جيداً ؟ أنت شاعرة ، وكنت تحلمين بزوج شاعر ! أفيقي يا أختاه إلى حقيقة هذه الحياة الدنيا ؛ الدنيا جد فلا تجعليها حلماً طارئاً وخيالاً مغرقاً في خيال . ماذا كنت تريدين من بيومي أفندي أن يكون ؟ »

— « يا أمينه أنت تقسين على قسوة شديدة . يا أمينة أنت فتاة متعلمة مثلي ، وقد طالما حلمنا بزواج هنيء يتصل بالروح أكثر مما يتصل بالجسم ... أنت على حق ، لا ريب في ذلك ، فيما يتعلق ببيومي من الوجهة المادية . هو رجل غني ، ولكنه فقير جداً في ثقافته ، فقير جداً في حساسيته ، فقير جداً في فهم الدنيا الجديدة والحياة الجديدة . . إنه يأكل جيداً ويلبس بأناقة ويشتري لي الجواهر والحلي بسخاء ... ولكنه يمزق كتبي ويخرق رواياتي ويمنعني كلما رآني أقرأ مجلة ، وإذا أحببت أن ألعب على بياني برم وتسخط وتكلم بصوت عال ليفسد علي موسيقاي ، والويل لي كل الويل إذا استأذنته في رياضة إلى الريف أو في متنزه عام ... إنه يخنق ، وسرعان ما يتهم ، وهو إذا اتهم كان كالبركان يقذف بما فيه دون وعي ... إنه لا يطاق ... إنه بهيم يا أمينة ... إنه بهيم ، وأستحي أن أزيد ! ! »

— « وما هذا الذي تستحين من ذكره ؟ أيستعمل ا ... »

— « يستعملها ؟ ... إنه يحب أن تكون لياليه كلياني ألف ليلة ... وهو يتفنن في ذلك ، وهو بذلك يرهقني ويضاعف بلواي ، وهو يجعل ليالي جحيما مستمراً وشقاء مستديماً ... تشممي بخيالك فمه القذر الملوث الكريه ، الذي تتصاعد منه مع رائحة الخمر ألف رائحة ، يعبث بفمي وخدي ووجهي عبثاً وحشياً

لاحنان فيه ولا تلطف ، عبث الذئب الجائع بجثة الحمل البريء ...
يا أمينة ... ارحميني ... بحسبنا هذا الحديث الطويل ... وإلى اللقاء ... ! »

* * *

ولم تدر هذه الزوجة التاعسة أنها كانت تشكو بثها إلى غريمتها الشقية التي كانت تحاول جهدها أن تصيد هذا الزوج الغنيّ الشهوانيّ المتلاف وأن تقسر خيره كله : مالاً ودماً على نفسها !
لم تدر الزوجة التاعسة أنها كانت تفعل ذلك ، وأنها كانت تعد السم لنفسها وتضعه بيدها الساذجة البريئة في كأسها !

لقد حاولت روحية بكل الوسائل أن تصلح من حال بيومي افندي ؛ كانت تعظه مترفقة به ، وكانت لا تغلظ عليه إما خوفاً من بطشه بها ، وإما إبعاداً في محاولة التأثير عليه بالأسلوب الرقيق والبيان الرشيق والروح الطيبة والقلب البار ، وكانت تنيله منها لذة الوحش ، ثم تنتزع منه الوعد بعد الوعد بالتوبة عن الخمر وهجر المخدرات ، وكان يخبث ويمكر فيصغي اليها حين تنهض إلى بيانها فتوقع لحناً أو نصف لحن ، ولكن البهيم الثاوي بين ضلاعه كان يهيج به فينهض لجاجة ويحتملها بين ذراعيه الجبارتين ويمضي إلى المخدع

لقد كان يعبد جسمها عبادة ! ولكنه لم يكن يؤمن بجسم واحد ! بل كانت له آلهة كثيرة وأرباب متعددة ، يخلو إلى أي منها كلما أمره شيطانه أو هاجه هواه ... وكانت أمينة الفاجرة إحدى هذه الآلهة ، وقد عبدها أول ما عبدها في منزله ... حينما كانت تزور زوجته البائسة التاعسة ، فسمع صوتها المخنث وضحكها الفاسق يرن في أرجاء المنزل ، فزلزل قلبه ، ومادت نفسه ، وسال لعاب شيطانه المجرم إلى قطف الثمرة المحرمة ... التفاحة المشئومة التي ما زالت تينع وتتأرج ، وتملأ الدنيا باللذاذات الوضيعة والفسوق والخبائث

ولم يكن من العسير على بيومي أن يصيد هذا الصيد ، فلقد غافل زوجه وشك قلب أمينة بغمزة قوية قاتلة من عينه الصناع فحملت اليه أولى رسائل النى ، وأول وحي الضلال ؛ وسهل عليهما بعد ذلك التلاقي في أقاصي المدينة ، هذا في غفلة من زوجه ، وهذه في غفلة من أعين الرقباء

لكن أمينة كانت فتاة تعمل على أن تصيد لا أن تصاد ، لذلك كانت تمنى بيومي ولا تقع في شراكه ، وكانت تشتري منه ولا تبيع له ، وكانت موقنة أنه لها يوماً من الأيام ، وكان لا يهمها أن يشتغل قلبه بالعصبة القوية من الساقطات اللائي يتجرن بأعراضهن ، فهي تعرف ، إذا خلص لها أمره ، كيف تعالج هؤلاء بالنمل ، لا بالأسلوب الرشيق والبيان الرقيق كما تعودت روحية أن تصنع ! وكان لأمينة من جسمها الممتلىء وقوتها الخرافية كنز مدخر ليوم الفصل بينها وبين غريماتها

* * *

وضاقت روحية ببيومي وبأمينة ، ولاحظت ما رابها من سلوكها الأخير ، وأفلحت في ضبطهما مرة يتناجيان ، فراحت غير مبقية على شيء ... راحت تفرج عن جمالها الحزين ، وانطلقت في التنزهات ودور السينما تمثل فصولاً من درامة الشباب وتستعيد ذكريات سعيدة وأحلاماً أثيرية محببة ... ذكريات الحب الذي كانت تعذب به قلوباً غضة وأنفساً رطبة ، وأحلام الماضي القريب الذي أفلت بالهناءة كلها من يديها . . . راحت ترسل من عينيها الساجيتين مهاماً تعرف كيف تحيي بها آمالاً قضى عليها هذا الزواج التاعس النكد ، ومطامح هدمها السيد بيومي بذهبه الكثير الجم ، وجاهه الطويل العتيد

— « روحية ! ... أوه ! عفواً ! »

ولم تكلم صاحب الصوت المتلجلج ، وهو شاب طوال تبدو عليه مظاهر القوة ومخايل القوة ، ولكنها لم ترفض أن تبتسم ابتسامة خمرية ساحرة ، ومضت نحو شباك التذاكر تبتاع واحدة ؛ وارتبك الفتى قليلاً ، ثم أصلح من هندامه (ربطة الرقبة فقط) وابتلع ريقه ، وانطلق يزاحم الجمهور حتى أخذ مكانه خلفها ، وانتظر حتى كانت عند الشباك ، ومدت يدها بالنقود ، فصاح هو من خلفها :

— « من فضلك يا آنسة ! التذكرتان متجاورتان . لا تأخذي نقوداً ! هاتي بقية جنيه ! ... »

والتفتت روحية فوجدته الشاب نفسه ! صلاح ! صلاح الذي كان يوماً من الأيام أجمل ابتسامة في حياتها ، والنور الالهي الذي يضيء ظلمات نفسها ... لقد أوشكت أول الأمر أن ترده وتقسو عليه كزوجة أبية وفية ، ولكنها لم تستطع ؛ بل التفتت اليه ... وشكرته باسمة ... ودخلا إلى الصالة وجلسا على كرسيين متجاورين ، ولم يسعهما أن يتكلما كلمة واحدة ! ... وكان بيد كل منهما منهاج للحفلة ، فظلا يقلبانهما ألف مرة ، وأكبر

الظن أنهما لم يقرآ حرفاً واحداً مما فيهما ... وكان صلاح ، كل دقيقتين أو ثلاث دقائق ، يخالس روحية نظرة فائضة بالحزن ، مبللة بالدمع ، صادرة من أبعد غور فى روحه المذبة الشقية ... ثم يقول لها « سلامات يا روحية ! ! » وتجيبه روحية ، بلسان خجول متلعثم ، عارف بما يعنيه صلاح : « أهلاً ...و... سهلاً ! »

ثم قال لها صلاح فجأة : « روحية ، أليس خيراً لنا أن نؤجل هذه الحفلة إلى غد ، ونمضى من هنا فنستنشق الهواء الطلق فى سفح الأهرام ... الليلة مقمرة ... أليست هذه فكرة ؟ ! »

ووافقت روحية ، ثم حملتهما السيارة فى طريق الأهرام ... ومع ذلك لم يتكلما أيضاً !! أليسا هما الآن فى طريق خوفو ؟ وهل تكلم خوفو من يوم أن دفن فى حصنه المشيد !! »

وانتحيا من الناس ناحية ، وصعدا فوق الصف الرابع أو الخامس من حجارة الهرم الأكبر مما يواجه الضوء الفضى المنبعث من القمر ...

يا لياليك الساحرة المقمرة يا مصر ! الصحراء الأبدية تتواثب فى اللانهاية ، تتسمع شكوى الفتاة المذبة التى فقدت حبها وشقيت بزوجها ؛ وأبو الهول الرهيب الصامت يرهف سمعيه هو الآخر ؛ ومائة فرعون عظيم سيسمعون قضية الحب والشباب والزواج ، والنسيم الشمالى سيمهد للعتاب البرىء . . . والقبل ! وحب اللحم سيغدو شبحاً بعيداً قاصياً ، ويحل محله حب مأواه الروح ومصدره القلب ومطهره العين وموسيقاه الكلمة الطيبة ، والتمتمة الحلوة ، والعبارة التى تخنقها العبرة ، والآهة العميقة الحارة يرسلها الفؤاد الملتاع الحزين ! وستكون القبلة ترجمان هذا الحب القديم الذى أتاحت له المصادفة أن يحيا حياة ثانية موفورة ، وسيغار القمر الطل من لا زورد السماء المصرية من كل قبلة يطبعها صلاح على جبين روحية ... ذلك لأن القمر يحب ؛ ألست تراه ممتقعاً مسهداً ولهاناً ؟ !

— « روحية ! ... »

— « ... ؟ ... »

— « لعلك سعدت بهذا الزواج الغنى الموفق ؟ »

— « سعادة لا نهائية يا صلاح ... مثل هذه الصحراء ... هه . . . »

— « والسعادة اللانهائية التى تكون كالصحراء ، تكون كيف ! »

— « تكون غامضة مشحونة بالأسرار ... ألغاز ! ألغاز يا صلاح ! أتعرف الألغاز ؟ »

— « إذن ، أنت سعيدة ، لأن السعادة الغامضة أروع ألوان السعادات ! »

— « هه ! متى صرت فيلسوفاً يا صلاح أفندى ؟ »

— « منذ افترقنا هذا الفراق الذى حطم ... »

— « حطم ... حطم ماذا ؟ »

— « حطم أمانى ، وهدم قلبى ... »

— « خير لى ولك ألا نفتح كتاب الماضى ! »

— « بل سنقرؤه صفحة فصفحة ! »

— « صلاح ! »

— « ماذا ؟ »

— « أتحب أن نزور معبد أبى الهول الساعة ؟ »

— « لماذا ؟ ماذا نصنع هناك ؟ »

— « نتحنث ! تتعلم الصمت فلا تتكلم فى هذه المسألة ! »

— « إذن لن نذهب ، بل سنبقى هنا ! وسأكلمك فى زوجك ؟ هل أنت سعيدة به حقاً ؟ »

— « قلت لك سعيدة ! سعيدة جداً ، إنه يحبنى . . بل يعبدنى ! لقد كان يأكلنى منذ أسبوعين !! »

— « يأكلك ؟ »

— « أى والله ! ألست حلوة جداً ؟ »

— « الوحش ! »

— « لا ، لا تسب زوجى ! »

— « بل أنت شقية به . . . قلبى يحدثنى ! أنت تكرهينه ؟ »

— « صلاح ! »

— « أنت تكرهينه جداً ! »

— « إذن من عسى أن أحب ؟ »

— « تحبين ... ! تحبين فتى غيره ! الحب لا يشترى بذهب الأغنياء ! الحب لا يشترى بذهب الأغنياء ! الحب تصنعه الأعين وتزرعه فى القلوب ، بذرة من الطهارة يرويها نبع من الأخلاص ! »

— « ومن يا ترى يكون هذا الفتى إذا كان ؟ »

— « من يكون ! يكون الفتى الذى عرفك وتغلغل فى كل جوانحك »

— « الفتى الذى عرفنى وتغلغل فى كل جوانحى لم يخلق بعد ! . . . »

— « روحية ! »

— « أؤكد لك ! »

— « روحية ؟ أنت تقتلينى ! »

— « آه ! أهو أنت هذا الفتى إذن ؟ »

— « روحية ! أنا هو . . . أنا صلاح . . . هل نسيت ؟ »

— « . . . ؟ . . . »

— « إلى متى تفترق أجسامنا وقلوبنا متحدة متآلفة يا روحية ؟ »

— « . . . ؟ . . . »

— « تكلمى ! غير معقول أن تكونى نسيتِ ! يجب أن نلتمس مخرجاً . . . »

— « كفى ! . . . صلاح ! أسكت ! »

— « لا ! بل أتكلم ! لن يخدعنى لسانك ! إنى مطمئن إلى قلبك ، إنه ينبض لى كما كان ينبض قبل زواجك . . . بل هو الآن يخفق خفقاناً شديداً ، إنه يدعونى ويعطف على . . . إنه يُفضّلنى . . . ولكنك تعاندين . . . إرحمينى يا روحية . . . لن أدعك تفلتين هذه المرة ولو ربطتك السماء نفسها بسلاسل ذهبية ! أنت لى ، أنت لى دون هذا الحيوان الذى انتزعك منى ، أنا أعرف هذا ! أنا أعرف ما بينكما من بغضاء ! أعرفه كله ! ثق أنه لن ينتهى عما نهيته عنه ! البهيم ! الوحش الذى يعذبك ويضنيك ! سيصير فقيراً معوزاً عما قريب ! لقد بدأ ببيع (أطيانه) ويرهن مالم يبع ! وجسمه سيتهدم ، وقد يجرفك سيل خرابه ؟ روحية ! كبرياؤك تذيب قلبى وتصهره ! صديقتك أمينة ! لقد ذكرت لى كل شىء . . . أ . . .

— « أمينة ! »

— « أجل . . . أمينة أعز صديقاتك . . . الأفعى ! اتركيه لها ! سيقصم ظهرها أو تقصم ظهره قريباً . . . لقد سقطا يا روحية فاطمئنى

— « حسبك ياصلاح . . . كفى . . كفى . .

— « لا . . . ليس حسبى . . . ينبغى أن تنتهى !

— « تنتهى كيف !

— بأن تكونى لى . . .

— « أكون لك . . . وهل تقبل ! أنا ؟

— « أقبل ؟ أنا أرجوك وأضرع إليك . . . لا حياة لى بدونك يا روحية !

* * *

وصمتا ساعةً ، وكانت دموع نحيلة تسقى حبهما الذى انتعش بكل ما كان له من قوة وحياة ، وكان الليل المصرى الجميل يرق لهما فيهب نسيمه عليلاً رخياً كأنفاس العذارى ، وكان صلاح قد حمل رأس حبيبته على صدره الرحيب وراح يقبله ويربت عليه بأصابعه المرتجفة . . . وكانت أصابعه المرتجفة تنسى فتمر بكل ما فيها من حب وبراءة على الذقن وفوق الخدين . . . ثم . . . ثم انحنى صلاح يتشمم بفمه المرتعش فم ملاكه الغارّ فى أحلامه فوق صدره . فاضطربت روحية ، وانتفضت انتفاضة هائلة ، وهبت من آلامها مذعورة ، وتمتمت : « صلاح ! لا يصح ! أنا زوجة . . . لا أخونه حتى أرى ! »

وكانت الساعة الواحدة ! وقد سافرت آخر قاطرة من قاطرات الترام الى القاهرة منذ بعيد ! ولم يبق فى الجهة سيارة تحملهما الى هناك ! فهل يقطعان الطريق على الأقدام ؟ هذا أمر شاق . . .

— « لا تنزعجا ! سأوصلكما فى سيارتى ! !

من هذا ؟ من صاحب هذا الصوت ! يا للهول ؟ إنه بيومى ، خرج الساعة فقط من فندق ميناهاوس !! إنه يترنح من السكر وهو لايكاد يعى ! وأمينة ! أمينة معه أيضاً فى تلك الساعة المتأخرة من الليل ؟ ما ذا كانا يصنعان هنالك ؟

— « أوه ؟ أنت روحية ؟ ومن هذا ؟ آه ! أحد عشاقك ! ترى ! أين كان يتمتع بك الليلة ؟ هه ؟ هناك ! فى حرم الفراعنة ولكن ، اركبا ، اركبا ، ليس الآن ! . . . »

وصعد الدم يغلى فى رأس صلاح ، وأوشك أن ينقض على غريمه الوقح فيضغط على عنقه ليذيقه وبال أمره لولا أن لمحته روحية وأشارت عليه بركوب السيارة . . . وحينئذ ، فكر قليلا وتقدم الى مكان السائق . وجلست روحية إلى جانبه ، وجلس بيومى وأمينة فى الخلف ، وانطلق صلاح ينهب الطريق الهادئ ، وبرزت الأجبال القديمة كلها من تحت الرمال تنظر إلى أبطال

القصة المؤلمة ... الزوج الخائن ... والصديقة الخائنة ... والحب الهائج ... والزوجة الثائرة ...

وجعل صلاح يفكر ... وأيقن أن الخمر قد سيطرت على دماغ خصمه ... فهل يستطيع أن يجعلها من جنوده ضده ؟ ! سيرى ...

واقتربت السيارة من الجيزة ... وبدا النيل يصطخب من بعد ... وأزبد عبابه وجرجرت أواذيه ... وأوقف صلاح السيارة على بعد مائة متر أو نحوها من النهر العظيم ، ثم نزل منها وأشار إلى روحية فأطاعته ونزلت هي الأخرى ... وهي لا تدري لماذا نزلا ، وحملق صلاح في غريمه فوجده يخاصر أمينة وقد غلبهما النعاس والسكر فناما نوماً عميقاً ...

— « بيومي افندي ! بيومي افندي ! استيقظ ! هلم أنت فسق سيارتك ، أنا ماض إلى بعض شؤوني في الجيزة ! »

وشخر بيومي شخيراً مفزعاً بأنفه الغليظ ، ونهض من مكانه متثائباً ليجلس مكان السائق وهو لا يعي من أمره ولا من أمر سيارته شيئاً ... ثم أدار العجلة دورة آلية فانطلقت السيارة تطوى الطريق في خط مستقيم إلى ... النيل ... النيل الزاخر الأبدي ! »

— « حرام عليك يا صلاح ... »

— « إسكتي ! لقد أنقذتك ! »

— « وَيْ ! إسمع ! لقد انقذفت السيارة في الماء ! »

— « بمن فيها طبعاً ... »

— « يا للقوة ! »

— « روحية ، هلمي من هنا ... من هذا الطريق »

دربي شبة

(الرسالة) إن الحل في هذه الأقصوصة الجميلة لا يرضي الخلق الجميل

مصانع شركة مصر للغزل والنسج بالمحلة الكبرى

الانتاج الحالي يوميا

٦٠٠٠ ثوب قماش ❁ ٤٠ طن غزل

١٢٨٦٥ عدد العمال في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٥

مطبعة مصر

عمل متواصل بالليل والنهار لاعلاء شأن مصر والمصريين